مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Planning and Studies

شرطة الناتو الجوية وعملية العودة للساحة

أ.م.د. أثير ناظم الجاسور

سلسلة إصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط

عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركز مستقلٌّ، غيرُ ربحيّ، مقرُّه الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسة -فضلاً عن قضايا أخرى- تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حولَ قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ، ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليلٍ مستقلٍّ، وإيجاد حلول عمليَّة جليَّة لقضايا معقدة تهمُّ الحقليْنِ السياسي والأكاديمي.

ملحوظة:

لا تعبِّر الآراء الواردة في المقال بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز، وإنَّما تعبِّر عن رأي كتابِها.

حقوق النشر محفوظة © 2023

www.bayancenter.org
info@bayancenter.org

Since 2014

شرطة الناتو الجوية وعملية العودة للساحة

أ.م.د. أثير ناظم الجاسور *

الملخص:

بعد العام (1989) انتهى نظرياً أو وفق ما تم تناوله من قِبل الباحثين والدارسين في العلاقات الدولية والسياسة الدولية صراع الغرب والشرق لاعتبارات الانتصار الذي حققه المعسكر الرأسمالي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها على المعسكر الشرقي بتفكك الاتحاد السوفيتي وانهيار ايديولوجيته الشيوعية، لتعلن بداية مرحلة جديدة صلبة في إطارها وتفاعلاتها، محصلتها أحادية قطبية متحكمة بالقرار السياسي العالمي، إلى جانب البقاء على الحلف المنتصر (حلف شمال الأطلسي) الذي بقي كحامي لأراضيه التقليدية، التي على أساسها تم تشكيله وليكون المتقدم للأراضي الجديدة بعد أن تغيرت عقيدته من الدفاعية إلى الهجومية، من خلال توسع الحلف استطاعت الولايات المتحدة أن تتقدم إلى مناطق حيوية كانت تحت النفوذ السوفيتي بواقع ما تم تخطيطه ضمن استراتيجية الاحتواء ليشكل خطراً حقيقياً على خصوم الولايات المتحدة سواء رؤيا أو القوى الصاعدة الجديدة.

المقدمة:

تشكل حلف الناتو على أساس قضية الحماية والدفاع عن الكتلة الغربية من مخاطر الشرق وتوجهات السوفيت وحلفائهم التي هددت كيانهم، وصار الحلف يلعب على أساس تبدل الاستراتيجيات بين مرحلة وأخرى وفق تبدل التفكير الإستراتيجي للقيادات الحلف في تلك المرحلة والمراحل التي تبعتها لتبقى دفاعية غير قابلة للتغيير، بعد الحرب الباردة تغيرت استراتيجية حلف الناتو من الدفاعية إلى الهجومية بعد قراءة متأنية للواقع المتحول من ثنائي القطبية إلى الأحادية المتصلبة وكانت تجربة البلقان واحدة من هذه المهام التي أسست لاستراتيجية تبعتها بأكثر تركيز أفغانستان (2001)، من ثم أصبح للناتو استراتيجية عسكرية وأخرى سياسية إغرائية على اعتبار الناتو ضامن لدول أوروبا الشرقية من خلال فتح العضوية لتكون ضمن الحماية الأمريكية بالدرجة

* كلية العلوم السياسية/ الجامعة المستنصرية.

الأولى إلى جانب الدعم السياسي والاقتصادي لها، بهذه الطريقة بدأت عمليات توسيع الناتو شرقاً من خلال السماح للدول الأوروبية الشرقية للانضمام للحلف وبداية فكرة وعصر جديد لاستراتيجية الاحتواء الاستباقية التي استفزت بالدرجة الأساس القيادات الروسية التي عدّته خطراً كبيراً على أمنهم الوطني، بالإضافة إلى القوى التي تخشى من الهيمنة والسيطرة الأمريكية على مناطق حيوية تعدّها ضمن نطاق أمنها ونفوذها.

الناتو من التوسع إلى الاحتواء.

كل الاعتراضات على توسيع الناتو جاءت بناءً على فكرة الخشية من هيمنة القطب الواحد على اعتبار أن شركاء أمريكا من الأوروبيين لا يؤكدون على الهيمنة التي تطرحها أمريكا، ولطالما لعب الأوروبيون على فكرة التوازن والسير تجاه إحلال السَلام والعمل المشترك هذا بالإضافة إلى أن الأوروبيون يُعدون شركاء مقبولين في الساحة العالمية، من جانب آخر الدول الأوروبية اليوم لا تمتلك القدرة على التوسع والنفوذ؛ بسبب الجوانب الاقتصادية والأخرى بسبب التخوف من أن تكون قارتهم ساحة حرب فيما إذا تنامت الطموحات السابقة، من ثم فإن العمل الأوروبي لا يتناسب والطموحات الأمريكية خصوصاً وكانت هناك اعتراضات من قبل القوى الأوروبية الكبرى على توسيع الناتو شرقاً لأسباب كثيرة أولها الأكلاف المالية وتبعاتها على هذه الدول إلى جانب التوجهات الأمريكية التي تضع الناتو في سلّم أولوياتها ما يساهم في عرقلة الأمن والسلم داخل القارة.

من بديهيات النظام الجديد المتفرد وضع استراتيجيات مختلفة تتماشى مع المراحل وتدرجيتها من خلال القضاء على أي طموحات جديدة قد تكون عقبة في تحقيق أهدافها وإحراز أي تقدم لها في مناطق مختلفة من العالم، هذا ما حصل مع روسيا وريثة الاتحاد السوفيتي الذي تم اتخاذ قرار محاصرتها أولاً، على أنها وريثة الاتحاد السوفيتي وثانياً، الخشية من محاولة استعادة المكانة في النظام الجديد مما يشكل خطراً على توجهات الحلفاء الغربيين ويساهم من جديد في تغيير الخارطة السياسية للعالم، فهذه الاستراتيجيات الغربية المتمثلة بأمريكا وحلفائها جاءت من امتداد حركة سياسة واستراتيجية وعسكرية تمت صياغتها داخل مراكز صناعة القرار الأمريكية بهدف صياغة معالم جديدة للنظام الجديد، قد تكون استراتيجية الناتو لما بعد الحرب الباردة اختلفت وفق اختلاف التفكير الاستراتيجي للدولة القائد من خلال توظيف القدرة على إدارة الأوضاع الدولية منطلقة من

بداية سيطرة شركاتها الاحتكارية الصناعية والعسكرية، لكن عملية توسيع الحلف كان لابد أن تسير وفق سياقات وتصورات أمريكية نابعة من القدرة على بسط سيطرتها ونفوذها التي تؤكد على قدرة واشنطن على قيادتها للعالم مع قناعة حلفائها بأن الخطوات المتّبعة نابعة من تعزيز الأمن والاستقرار في القارة ومنع التهديدات التي من الممكن أن تنهض مع نهوض روسيا أو أية قوة أخرى، بالمقابل شهدت روسيا تدهور شديد على الصعيدين الداخلي والخارجي الذي كان محصلة السياسات المتّبعة من قبل قياداتها السياسية التي فشلت في إعادة هيكلة سياستهم الخارجية التي من خلالها قد تتمكن من استعادة مكانتها، من ثم وضع شروط على روسيا حتى تكون ضمن هذا النظام الجديد لكن ليست كقائدة إنما دولة تكون ضمن الصورة العامة له من خلال:

- التخلي عن الأيديولوجية الشيوعية وعملية الانتشار.
- تعمل روسيا بخصوص تعزيز مقوماتها الاستراتيجية في إطار متوازن مع أمريكا.
- التغيير فيما يخص العقيدة الأمنية الروسية بما يتلاءم ومصادر التهديد الجديدة.

فكرة البقاء على استراتيجيات تقليدية تُعد واحدة من عمليات التقهقر لأي قوة تحاول الحفاظ على وجودها خصوصاً أن السنوات الأولى من القرن العشرين كشفت عن تهديدات خطيرة لأمن القوى الكبرى أولها أمريكا بعد تعرضها لهجمات أنهت فكرة الأمن المطلق للدول في الحادي عشر من سبتمبر (2001)، لتعلن عن تفكير جديد بتصورات ورؤى جديدة جعلت وضع آخر لمستقبل الحلف بعد الاعتماد على المادة السادسة من ميثاق الأطلسي التي تنص على أن الاعتداء على أي عضو من أعضاء الحلف يُعد اعتداءً على جميع الأعضاء، لتبدأ مرحلة جديدة من التفكير والمحاصرة والاحتواء بتقسيم العالم إلى أعداء وأصدقاء، أما الدول التي تقف على الحياد لا مكان لهم فيه انطلاقاً من شعار (من ليس معنا فهو ضدنا)، وعلى أثر ذلك كانت ولا زالت هناك دول شر، ومحور شر، وشرق مُهدد للطموحات الغربية، وغرب يحاول الحفاظ على القيم الإنسانية والديمقراطية كما يسوق لها مراكز صنع القرار الأمريكية، فراحت صوب استخدام القوة العسكرية والاحتلالات سواء صوب أفغانستان عام (2001)؛ بسبب طالبان والقاعدة وتسببهما بأحداث سبتمبر ومن ثم العراق (2003) على اعتبار الأخيرة دولة مارقة مهددة لأمن جيرانها من ثم التدخل في ليبيا (2011)، كلها كانت ولا تزال ضمن الاستراتيجية الأمريكية التي من خلالها تحاول تغيير المواقع

والتحركات سواء لها أو للحلفاء وحمايتهم إلى جانب وضع الحدود القوى التي تحاول مزاحمتها في هذا العالم.

يرى (بريجنسكي) أن روسيا وبالرغم من انتمائها على أوروبا فأن القادة الروس لديهم رؤية روسية مختلفة حول خلق مهمة (أورو – آسيوية) مختلفة من خلال التشديد على أحقّية روسيا من استخدام القوة في أية منطقة تقع تحت نفوذ الاتحاد السوفيتي، خصوصاً وأن خبراء السياسة الخارجية الأمريكية يرون أن روسيا لا تزال تحتفظ بمقومات الدولة الكبرى من خلال ما تمتلكه من قدرات عسكرية وبالأخص النووية منها بالرغم مما تعانيه من عدم الاستقرار الداخلية ([1])، لكن هذا لا يمنع من أن تكون للحلف مهمات جديدة تتلاءم مع المتغيرات التي تفرزها المراحل التي تحتاج إلى أن يكون للحلف دور أساسي فيه، خصوصاً وأن عمل الحلف يصب في تكريس الزعامة والدور القيادي لأمريكا في كل المراحل التي تراها تتناسب وتحقيق مصالحها ومنع القوى من معارضتها مهما كان التحدي والثمن المدفوع عن هذا التحدي، من ثم فإن فكرة توسيع الناتو تعطي لأمريكا المسوّغ في التدخل العسكري تحت غطائه مما يساعدها على تعزيز مساراتها السياسية ويمنحها الشرعية الدولية من خلال التأييد الذي تحظى به من قبل الدول في عملياتها العسكرية([2])، بالتالي جاء الانفتاح على دول أوروبا الشرقية من خلال اتفاق بين حلف الناتو والاتحاد الأوروبي، على عمل القوات المشتركة من خلال الدخول في العمليات الإنسانية وحفظ السلام وصنع السلام الذي تحاول أمريكا المشاركة فيه باستمرار، هذا العمل يُعد واحداً من ضرورات تعزيز علاقات الأمن العابرة للأطلسي من حيث تشاطر عبء الدفاع المشترك.

عودة روسيا.

بقيت قضايا الاحتواء والتوسيع والخطوات المتّبعة في تحقيق الاستراتيجيات الجديدة للحلف رهينة الاعتراض والصوت العالي والمحاولات التي لطالما بقيت في أروقة المنظمة العالمية أو اللقاءات

1. أثير ناظم الجاسور، التصدع الكبير: استراتيجية حلف شمال الأطلسي تجاه البلقان، دار الرافدين، لبنان، 2015، ص166. ينظر أيضاً أن روسيا أعطت تطمينات بعدم نشر أية قوة حليفة على أراضي الدول الشيوعية السابقة التي ستنضم للحلف، إلى جانب الضمانات التي تؤكد أن التوسع لا يستهدف روسيا بشكل مباشر، إنما يعكس استيعاب التشنجات وحالة الفوضى السياسية والداخلية والإقليمية التي بدورها تُهدد الأمن الأوروبي.

2. ناظم عبد الواحد الجاسور، تأثير الخلافات الأمريكية – الأوروبية على قضايا الأمة العربية حقبة ما بعد الحرب الباردة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2007، ص 121.

التي نهايتها تعديل على خطوات لا تنفع، مع وصول (فلاديمير بوتين) إلى الحكم تغيرت سياسات الدولة مع تغيير في الاستراتيجية المتّبعة تجاه الغرب التي صاحبتها جوانب تنظيرية تُعزز من مكانة روسيا في النظام سواء في فكرة تعزيز مكانتها إقليمياً وعملية استرجاع مجالها الحيوي، أو من خلال بناء دور آخر مختلف عن السباق الذي اعتبرته أمريكا مزاحمة لها في قيادة النظام، هذا بالإضافة إلى أن القيادة الروسية تعمل بحرية عالية بعيداً عن الأيديولوجيا والأنساق التي تُحدد طموحاتها بالهيمنة والتوسع وبسط نفوذها من خلال خطوات متّبعة عكست التغيير الواضح في عقلية صانع القرار الروسي، فصارت قضية الاحتواء الغربي أو الأمريكي لروسيا واحداً من القضايا المهمة التي غيّرت قراءات صانع القرار الروسي للأمن الوطني الروسي وللتحركات في العالم، لا بل الشغل الشاغل له لاعتبارات قياس درجات القوة والهيمنة والسيطرة على مصادر القرار الإقليمي والعالمي وفق متبنيات تنظيرية لابد من تحقيقها على أرض الواقع، وقد خلقت هذه الأوضاع فكرة التعبئة المستمرة بالنسبة لروسيا للتصدي للتوجهات والاعتراضات التي تعمل على تحييدها ومحاصرتها كونها قوة تحاول أن تكون ركناً أساسيا في هذا النظام، وغير مستعدين للعودة للخلف والضعف الذي هدد كيان الدولة وحتى الحلفاء بعد العجز الذي أصابهم بعد الحرب الباردة وحرب الخليج الثانية (1990) كانت خير دليل.

أما الخطوات الروسية الجديدة جاءت بغزو أوكرانيا كأول رد عسكري على مشروع التوسع أو على رغبات الدول للانضمام للحلف من بعد الحرب الباردة، لا بل جاء الرد مختلف هذه المرة بعد أن استخدمت روسيا كل تقنياتها العسكرية في أوكرانيا لمجرد المطالبة بالانضمام والشعور بالخطر الحقيقي بوجود حلف الناتو على تماس مباشر مع حدودها أولاً وحيوية موقع أوكرانيا بالنسبة للأمن الوطني الروسي، وهذا ما لم يتوقعه الغرب بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية بعد أن وضعت روسيا شروطها وكلمتها بهذا الخصوص مما أدى إلى الاكتفاء بالمساندة والشجب والتنديد والتسليح، لكن هذا لا يمنع من مشاهدة الدمار التي تعاني منه أوكرانيا والأوضاع الاقتصادية التي قد تعانيه الدول الأوروبية بعد انقطاع الغاز الروسي الذي قد يساهم في تصدع المعسكر المضاد من خلال الضغط الروسي بهذا الملف، والرد الروسي يُعد أول رد بهذه الطريقة على فكرة التوسع والانضمام وهذه المرة تم استخدام القوة العسكرية وبالحقيقة هو تحدٍ واضح لأمريكا ولحلفائها وحلف شمال الأطلسي، لا بل هي عملية اعتراض قاسية وإشارة واضحة على كل من يحاول أن يُهدد الحدود

الروسية سواء بطلب الانضمام أو المحاولة من جر الدول للانضمام للحلف مما يجعل من خارطة التحالفات في هذه المنطقة تحديداً خارطة معقدة وخطرة التحديد والرسم، والسؤال هنا ما دور الحلف في هذه الحرب وما هي استراتيجيته القادمة؟، إذا كان الحديث عن الحلف بالحلفاء المنتمين والفاعلين فهناك تفسيرات ورؤى كثيرة وتصورات قد تمنعه من الاستمرار بهذه الطريقة خوفاً من تفاقم الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والحياتية الأوروبية لعلم قيادات هذه الدول من خطورة الواقع الأوروبي الداخلي في الوقت الحالي، أما الحديث عن حلف مُشكل في سبيل الدفاع عن الأراضي الأوروبية فعملية التسليح لأوكرانية سواء بالخفاء أو بالعلن فهي لا تتناسب مع حجم الحلف وقدراته مما ستساهم في فقدان الثقة به من قبل الدول التي لم تنضم بعد.

اختبار القوة

اليوم وحتى يثبت قادة الحلف قدراتهم على إدارة دفة الصراع ويعود رقماً في معادلة التوازنات لا بد من تحركات عالية الدقة فيما يخص هذه الأزمة وإعطاء التطمينات للدول الراغبة بالانضمام بأن لا يكون مصيرها كمصير أوكرانية، فالضامن للأمن لابد أن يتحمل كل التبعات خصوصاً وهذا الضامن يمتلك القدرة للحماية ويمتلك الأدوات التي تساعده على أن يساعد الحلفاء والراغبين به وحمايتهم، في هذه المرحلة الحرجة من الحرب الروسية الأوكرانية وتداعياتها على القارة الأوروبية سياسياً واقتصادياً وعسكرياً أثبتت روسيا أنها ستتعامل مع أي حدث يتعلق بتوسع الناتو بالقوة دون الرجوع لأي خلفية أو دراسة الحالة، بالمقابل تعامل الناتو مع هذه القضية لابد أن يكون وفق دراسة المرحلة المقبلة مع الأخذ بالاعتبار أن روسيا وبالرغم من القوة التي تمتلكها بدأت تستنزف من الداخل ويصعب عليها التعامل مع محيطها بذات القدر الذي كانت تتعامل فيه قبل الأزمة، فمشروع (شرطة الناتو الجوية) في إستونيا هو بداية لعمل الناتو بالتقرب من الحدود الروسية من جديد خصوصاً وإستونيا العضو المنضم عام (2004) تتمتع بموقع جغرافي مستفز في هذه المحلة بالنسبة لروسيا، إلى جانب أن هذا المشروع ستشترك فيه دول أوروبية مثل بريطانيا وألمانيا لتأمين الأعضاء من خطر الحرب الدائرة، هنا ممكن أن نتوقف عند ردة الفعل الروسية فيما تم هذا المشروع بكل تفاصيله من ثم عليها أن تتخذ إجراءات قد تصطدم بالمادة السادسة من ميثاق الأطلسي، فمهمة الشرطة الجوية هو حماية الدول الأعضاء من الخطر أو التهديد الروسي فهي تأتي كما يعبر

عنها المسؤولين في الحلف على اعتبارها إضافة للخطوات التي تمت من قبل الحلف في الجبهة الشرقية لمواجهة روسيا، بالتالي لم تعد السويد وفنلندا الدول المرشحة للانضمام ضمن دائرة الخطر الروسي لا بل بولندا أيضاً شهدت مناورات بين ألمانيا وأمريكا، وهذا يدل على أن الحلف سيلعب على وتر التمدد من خلال عقيدته الدفاعية التي تُجيز له الحرب فيما إذا تم الاعتداء على أحد أعضائه، بالمقابل التبدل في العقيدة التي يؤديها الناتو اليوم من ضرورات العمل الاستراتيجي والعسكري له التي ستعزز من عقيدته الهجومية التي من خلالها ستستفز روسيا مما تجعل منها عنصراً فاعلاً للمشكلات في المنطقة في سبيل إيصالها لمرحلة العزلة السياسية مما يساعد على إضعافها من ثم كل تحركات الناتو ستجر روسيا للخطأ ضمن المخاوف التي تنتابها من هذا التمدد الذي يهدد حدودها.

الخاتمة:

القوتان الروسية والأمريكية مدركتان أن الصراع الدائر لا يحدد فقط من المنتصر وفق ما يمتلكه من قدرات ومؤثرات على مناطق نفوذه ولا حتى ما يمتلكانه من تسليح، لا بل تعملان على ديمومة التفوق تلك الفكرة التي سادت مرحلة الحرب الباردة ضمن ترتيب استراتيجيات الطرفين على أُسس ومعايير تختلف عن تلك المرحلة، من ثم فإن الضرورات العالمية تُحتم على الطرفين أن يحققا أكبر المكاسب وتحقيق أسرع الأهداف لاعتبار أن الفرصة الحالية لن تأتي مجدداً فلا بد من استغلالها، فروسيا دون الضغط على الناتو وأمريكا لا تستطيع أن تحد من التقدم الحاصل للغرب من خلال فكرة الانضمام للحلف وعليه لابد من التحرك بأقصى ما تمتلك من قوة لفرض هيمنتها ومنع التقدم الغربي، وأمريكا والناتو عليهم وضع حد للقوة الروسية والتطلع لإحياء الأوراسية لاعتبارات الصراع التاريخي المتجذر بين الطرفين، بالمحصلة قد يكون هذا الصراع الدائر على الأراضي الأوكرانية يُعيدنا إلى الجدار الفاصل (جدار برلين) لكن بخطوط مختلفة لتكون أوكرانيا الشرقية تحت النفوذ الروسي وأوكرانيا الغربية تحت نفوذ الناتو – أمريكا، هذا ما قد يجعل من هذا الصراع الدائر أكبر قوة من خلاله يتم تحديد أقطاب جديدة تتحكم في القرار العالمي بين سياسي – دبلوماسي وعسكري واقتصادي يتوزع بين كل من أمريكا والصين وروسيا.